وحسبك حلمه صلى الله عليه وسلم على من حاربوه يوم أحد وأشر ما نالوه منه من كسر رباعيته وشج
وجهه وسيلان الدم على وجهه وشق ذلك على أصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال اللهم
اغفر لقومي أي اهد قومي فإنهم لا يعلمون أي إنما تعجلهم بالعقوبة من أجل أنهم لا يعلمون تفاصيل
ما يترتب عليهم في ذلك من أنواع العذاب وأصناف العقاب وقد وصفه الله تعالى في التوراة بقوله محمد
رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح ومن عفوه عن أهل الكتاب مع عظيم الأذية أنه أتاه بعض أحبار اليهود يتقاضاه دينا
له عليه قبل حلول الأجل فجبذ النبي صلى الله عليه وسلم بثوبه وفي رواية أخذ بمجامع قميصه وردائه
ثم قال إنكم لا تقضون يا محمد حقي والله إنكم يا بني عبد المطلب لمطل فغضب عمر غضبا شديدا ونهره
وتهدده ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه في سكون وتؤدة ويتبسم ثم التفت إلى عمر وأمره بقضاء
دينه وأن يزيده مكان ما روعه ففعل فأسلم الحبر وأخبر عمر أنه ما فعل ذلك إلا اختبارا لما يعرفه
من علامات نبوته من كونه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فوجد ذلك
وهذا الحبر هو زيد بن سعنة من أجل أحبار اليهود الذين أسلموا وسعنة بالياء ويقال بالنون
والنون أكثر وهو على النون بوزن قصعة أو رفعة وعلى الياء بوزن قصعة وعفا عن
المنافقين الذين سحروه وعن اليهودية التي سمته على الصحيح بعد اعترافها وعن الذي تصدى لقتله بغزوة
ذات الرقاع بمذهب لقومه وقال جئتكم من عند خير الناس وهجاه صلى الله عليه وسلم قيس بن الأشجع
ثم جاءه مسلما معتذرا أسلم عليه فأعرض عنه فأنشأ يقول

فحي ذوي الأضغان تسبي قلوبهم • تحيتك الحسنى فقد يرقع النغل
وإن جنحوا للسلم فاجنح تحلما • وإن كتموا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يؤذيك منه استماعه • وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

فطابت نفسه صلى الله عليه وسلم بحسن اعتذاره فاعتنقه وقال يا قيس لم يقل ثم اتبعنا الى المجاهد

وقال

وقال من لم يقبل من متنصل صادقا كان أو كاذبا لم يرد علي الحوض وروي أن عمر رضي الله عنه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي أنت يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الأرض من الكافرين ديارا الآية فلو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك
وشج وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا وقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
وروى البخاري أن رجلا استأذن عليه فلما رآه قال بئس أخو العشيرة أو بئس ابن العشيرة
فلما جلس ألان له القول وانبسط إليه فلما مضى سألته عائشة رضي الله عنها عما قال وعما
فعل فقال صلى الله عليه وسلم متى عهدتني فحاشا والعشيرة القبيلة وإنما فعله إيناسا له لكونه
رئيس قومه وتعليم للأمة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين بخلاف
المداهنة فإنها بذل الدين لصلاح الدنيا والرجل قيل إنه عيينة بن حصن الفزاري وقد كانت منه
أمور عجيبة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعده وما تقدم يشعر بضعف إيمانه بل ارتد ثم أتى به الصديق وجاء
ثم أسلم في زمن عمر وهذا الباب متسع جدا والأخبار في هذا الباب واضحة لا تنضبط تخرج عن
الحصر وبالله التوفيق وأما تواضعه مع علو منصبه ورفعة رتبته وتواضعه ووقاره في السراء
أي الضراء والسراء نقيض البأساء والضراء ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة
المشرفة في تلك الجيوش الهائلة وهو صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء وضع رأسه تواضعا
لله حتى إن رأسه الكريم ليكاد يمس رحله شكرا لله تعالى وخضوعا لعظمته إذ أحل له بلده ولم
يحل لأحد قبله ثم قال كي منا أي زكنا وشرفنا عن الرذائل والنقائص فجعلنا بالشرف الخصائص
نعبده صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى لما أراد إيجاد الموجودات وإبراز المخلوقات أوجد الحقيقة
المحمدية من أنوار الصمدية في حضرته الأحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على
ما اقتضاه كمال حكمته وسبق في إرادته وعلمه ثم أعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره برسالته وعموم
دعوته وأنه نبي الأنبياء وواسطة جميع الأصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد بل والروح

Copyright © King Saud University